عودة النمر العربي

لم يتبق من النمر العربي في البرية سوى 100 أو 120 نمرًا على وجه التقريب؛ لذا تتضاعف الجهود لإكثار هذا النوع -الأصغر في فصيلة النمور- وإعادته إلى موائله البرية.

قلم: **ر. ت. هيكي**

العيش في مراكز الاستيلاد والإكثار، بانتظار عودة مأمولة إلى البرية.. هذا هو السبيل الذي بقي أمام النمر العربي المهيب للبقاء على قيد الحياة، كهذا النمر الذي يعيش في "مركز إكثار النمر العربي" التابع لـ"الهيئة الملكية لمحافظة العلا" في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية.

الصورة مقدّمة من الهيئة الملكية لمحافظة العلا.

تُعد هذه التشكيلات الصخرية -المعروفة محليًا باسم "الرقّاصات"- والجبال الفريدة لدى "محمية شرعان الطبيعية" بمحافظة العلا، موقعًا تاريخيًا وجيولوجيًا مهمًا في السعودية. ويجري التخطيط لتكون هذه المنطقة موئلًا محتملًا لإطلاق النمور العربية التي تُولد في الأسر؛ لإعادة توطينها في موئلها التاريخي هذا الذي انقرضت فيه أسلافها البرية.

الصورة: R. T. Hickey

هنالك..

على قمم تضاريس
جبلية وعرة امتزج فيها
اللون الأحمر بالأصفر بفعل تفاعلات
العوامل الجيولوجيةمع المناخية على مرّ
ملايين السنين. أطلق صقرٌ حُر صيحات
حادة ثاقبة تردد صداها عبر الأودية
المتعرجة لدى "محمية شرعان الطبيعية"
في محافظة العلا الواقعة بشمال
غرب المملكة العربية السعودية.
ثم قرر أن يحط على إحدى
التشكيلات الصخرية
الثلاث الشهيرة
محلياً باسم "الرقّاصات".

قبلها بلحظات قليلة، راح غزالُ ريمٍ ذو لون شاحب وقرون نحيلة يتقافز برشاقة عبر فجوة بين "الرقاصات"، لينضم إلى اثنين آخرين بدا أنهما ينتظرانه قبل أن يفروا جميعًا بعيدًا في الوادي. تقع هذه المحمية الطبيعية في الوديان الشرقية للعلا وتمتد على مساحة 1540 كيلومترًا مربعًا، وتهدف إلى إنعاش التنوع الأحيائي الغني في وديان العلا وصحاريها ومن ثم إعادة التوازن إلى نُظمها البيئية الهشة، والحفاظ على الأنواع النباتية والحيوانية المحلية، وتعزيز التعايش المستدام.

تشتهر المنطقة بتكويناتها الصخرية التي تأسر المخيّلة وتُلهم القصّاصين والشعراء، وهي وجهة سياحية أثيرة تجتذب السياح من كل حدب وصوب. ولكن استخدامَها غير مرَخَّص به سوى لشركات سياحية تراعي الضوابط المعمول بها وتنظم رحلات محدودة وخاضعة للمراقبة. ويسهر على حفظ وتدبير تراثها الطبيعي "الهيئةُ الملكية لمحافظة العلا". وتتعاون الهيئة أيضًا مع جهات حكومية سعودية أخرى مثل "المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية"، وكذا شركاء دوليين مثل "الاتحاد الدولي لصون الطبيعة" ومنظمة "بانثيرا" وغيرها من الجهات المعنية بصون الطبيعة.

وتختزل الصخور تاريخ المنطقة، حيث يسافر المرء من جنوب العلا إلى شمالها عبر مليار سنة من الزمن تقريبًا، من خلال النقوش الصخرية التي تحكي قصصًا ألّفتها الطبيعة نفسها، وأخرى خلّدها من سكنوا المنطقة على مرّ حضارات قامت وازدهرت وانهارت ذات زمن غابر. ومن تلك القصص حكاية النمر العربي الغامض، الذي خُلِّد في رسومات صخرية نُقشت في هذه الجبال. لا يَصعب التخيل أن هذا المخلوق الأسطوري الجميل والقوي ربما صال وجال هذه المنطقة الساحرة في زمن مضى بوصفه أحد مفترسات القمة.. أو سيد هذه الجبال المنسي.

إذ توجد صور مختلفة للنمر العربي في تلك النقوش الصخرية التي تمتد أكثر من 10 آلاف سنة في تاريخ التفاعل

اكتُشف هذا النقش القديم لسنور كبير يُعتقد أنه نمر عربي، على أحد الأسطح الجبلية لدى "محمية شرعان الطبيعية" في محافظة العلا.

بين الإنسان والحيوان، حيث يَظهر هذا السنور الكبير وهو يهاجم حيوانات ذات قرون، مثل الغزلان والوعول؛ وفي صور أخرى، يكون طريدة تصطادها شخصيات بشرية باستخدام عصي مدبَّبة وسهام ورماح.

ومنذ ذلك الزمن، ظل النمر العربي -المسمّى علميًا (Panthera pardus nimr)- يمثل لدى سكان المنطقة العربية رمزًا للجمال والسكينة والقوة البدنية والشجاعة والحرية. ولا ينفك هذا السنور الكبير الغامض يلهم المخيلة الجماعية للناس ويشكل مادة دسمة للقصص الأسطورية وحتى التعبيرات اليومية. ففي بعض بلدان المنطقة، يُطلَق على الرجل القوي والشجاع لقب نمر أو نمْران، وعلى المرأة الذكية والشجاعة اسم نمرة.

وسُجِّلت أبكر الدلائل العلمية على وجود النمر العربي في أوائل القرن التاسع عشر، عندما أمضى عالِما الطبيعة الألمانيان "فيلهلم هيمبريخ" و"كريستيان إيرينبيرغ" زُهاء خمسة أعوام في جمع عيّنات من النبات والحيوان لدى منطقة البحر الأحمر في كل من إفريقيا والجزيرة العربية.

ووجد النمر العربي نفسه، على مرّ التاريخ، يتجول في هذه التضاريس الوعرة المتشكلة من الجبال الجرداء والصحاري الرملية الجدباء؛ لذلك لا عجب أنه ظل نادرًا ومختبئًا عن الأنظار لأنه يحتاج إلى ذَرع مناطق شاسعة لإيجاد فرائس كافية تكفل له القوت.

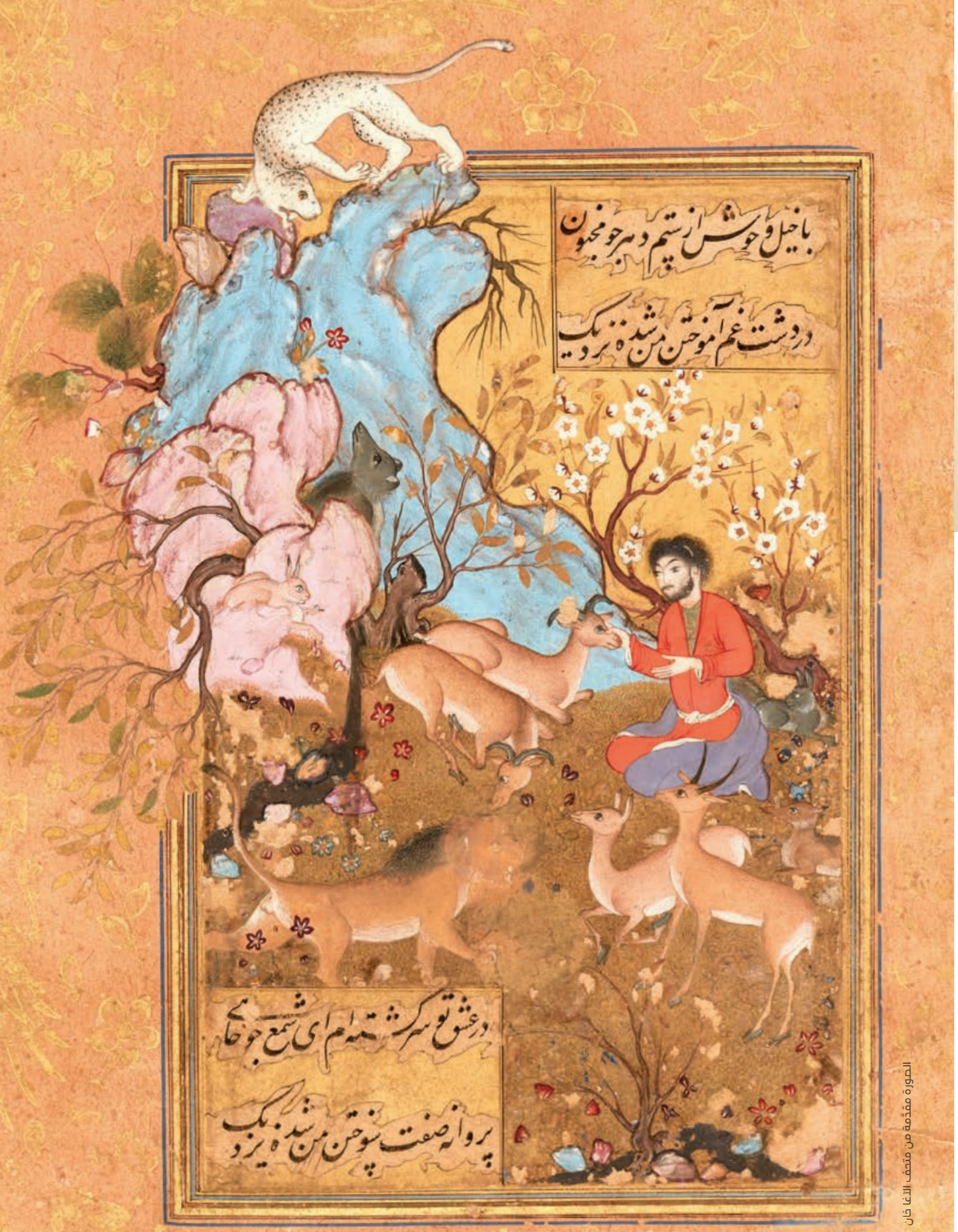

يظهر "قيس بن الملوح" في هذا الرسم محاطًا بعدد من الحيوانات البرية، منها نمر عربي اتّخذه صديقًا له. عنوان هذه القصة "مجنون في البرية"، وتقع في صفحة من مخطوطة تعود إلى عام 1577، وتُعرَض لدى "متحف الثغا خان".

الصورة مقدّمة من متحف الثغا خان

يمين كان النمر العربي في زمن مضى مكوّنًا من مكونات التراث المَحكي لدى سكان شبه الجزيرة العربية. ويُعتقَد أن هذا التمثال الذي يصور نمرًا عربيًا، كان جزءًا من مذبح حجري يعود تاريخه إلى عصر ما قبل الإسلام؛ وهو من التحف النفيسة لدى "المتحف الوطني السعودي". **يسار:** رسمٌ يُصوِّر نمرين عربيين أنجزه عالِما الطبيعة الألمانيان "فيلهلم هيمبريخ" و"كريستيان إيرينبيرغ" في عام 1833، خلال رحلة استكشافية دامت سنوات في كل من إفريقيا والجزيرة العربية.

يولد النمر العربي بعيون زرقاء فاتحة أو خضراء في الغالب، تتحول عند البلوغ إلى لون بني ضارب إلى الأخضر الرملي، ويتنوع لون فروه ما بين أصفر باهت وذهبي غامق، وبني فاتح، ويكون مبقّعًا بأنماط على شكل ورود؛ وغالبًا ما يكون فروه أفتح لونًا من الأنواع الفرعية الأخرى للنمر. ويُعرف بقدرته على تسلق الأشجار، وهو الأصغر حجمًا من بين الأنواع الفرعية الثمانية للنمر؛ إذ يبلغ وزن الذكر نحو 30 كيلوجرامًا، والأنثى 20 كيلوجرامًا، أي نصف حجم أقاربه الأفارقة في السافانا.

"رومانسية" النمر العربي

ظل من النادر دائمًا رؤية هذا السنور البري الرشيق والمهيب، حتى صار يوصف في الثقافة الشعبية في ربوع شبه الجزيرة العربية وأجزاء من مناطق بلاد الشام بذلك "المخلوق السري". لكن، يمكن العثور على أدلة -أقل من الناحية المادية لكنها أكثر عاطفية- على الوجود التاريخي للنمر العربي في التاريخ الشفوي للمنطقة من خلال الأقوال المأثورة والقصائد الشعرية، بما فيها تلك التي تعود إلى العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، والتي تناقلتها الأجيال التي تصور الارتباط الخاص بالنمر. وتُظهر هذه الدلائل أن هذا المخلوق "السري" لم يكن دائمًا على وفاق مع الإنسان، لكن كان هناك قدر من الاحترام المتبادل، وفي بعض الأحيان حتى الصداقة.

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون: سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وَأَرْقَطُ زُهْلُـولٌ وَعَرْفَـاءُ جَيْـأَلُ
هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَـانِي بِمَا جَرَّ يُخْـذَلُ

نظم الشاعرُ الجاهلي "الشنفرى" تلك الأبيات في لاميته الشهيرة، مُخبرًا قومَه بأنه اتخذ من الحيوانات المفترسة -ومنها نمر أملس سريع (أَرقط زُهلول)- أهلًا له بدلًا منهم وصار يفضلها عليهم لِما فيها من خصال حميدة؛ لأنّها لا تُفشي الأسرار، والجاني لديها غير منبوذ بسبب جرمه. وأنشدَ الأبياتَ التالية الشاعرُ الأموي "القتال الكلابي" متحدثًا عن الألفة التي نشأت بينه وبين نمر عربي أقام معه في الكهف نفسه بأحد الجبال. وتقول القصيدة إنهما أصبحا صديقين يتقاسمان الصيد والمشرَب فضلًا عن المأوى:

وَلي صاحبٌ في الغارِ هَدَّكَ صاحِبًا
هُـوَ الجَـونُ إلاّ أَنَّـهُ لا يُـعَـلَّلُ

(...)

تَضَمَّنَتِ الأَروى لَنا بِطامِعِنـا
كِلانا لَهُ مِنها نَصيـبٌ وَمَأكَـلُ

المتحف الوطني السعودي (صورة التمثال)، مكتبات وأرشيفات سميثسونيان من خلال مكتبة تراث التنوع الأحيائي (صورة النمرين).

أعلى: تقوم "ماريان هارتمان"، الخبيرة بمجال السنوريات الكبرى واستيلاد القطط البرية، و"زينب المبارك"، الخبيرة في سلوك النمر العربي، بجولة في مرافق "مركز إكثار النمر العربي"؛ وذلك لتفقد أحوال النمور وصغارها المولودة بالمركز.

يسار: تصف هارتمان، الملقبة بـ"هامسة القطط"، حالة هذا النمر الذي يعيش في المركز قائلة: "من خلال أذنيه المرتخيتين وعينيه المركّزتين، فإن مضمون الرسالة التي يبعث بها هو أنه يُهدد ومستعد للدفاع عن نفسه ومتوتر".

ولمّا كان التاريخ الشفوي جزءًا لا يتجزأ من الثقافة العربية، فقد سافرت قصص النمور ذاتها مع القبائل حيثما ارتحلت عبر المنطقة العربية التي كانت بلا حدود آنذاك -وغالبًا ما كانت تجوب الأماكن نفسها كما حيواناتها الأصلية تلك- مما جعلها جزءًا من تراث بلدان عربية عديدة.

وقد رُويت قصص عن جمال النمر العربي وشجاعته وقوته في تحف أدبية تعود إلى فترة ما قبل الإسلام؛

وصل بعضها إلينا وانتشر في جميع أنحاء الشرق الأوسط. ومن ذلك، الحكايات التي تدور على ألسنة الحيوانات في كتاب "كليلة ودمنة" الذي ترجمه ابن المقفع إلى اللغة العربية عن المخطوطة الأصلية الهندية، "البانشاتانترا"، التي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

ويظهر النمر العربي في قصص شعبية أخرى، مثل "ألف ليلة وليلة"؛ فضلًا عن القصص الشعرية الخالدة عن قيس وليلى. وتسرد هذه الأخيرة قصة العاشقَين المنكوبين، ليلى العامرية وقيس بن الملوح (المجنون) في كثير من القصائد الكلاسيكية العربية والفارسية والهندية، مع اختلافات طفيفة في التفاصيل، لكن مع النهاية المأساوية نفسها.

وتحتوي مجموعة "متحف الآغا خان" على نسخة من القصة معزَّزة بصور ورسومات تحتل الحيوانات فيها مكانة بارزة. القصة معنونَة بِـ"مجنون في البرية"، وتقع في صفحة من "مخطوطة ديوان السلطان إبراهيم ميرزا" (تعود إلى عام 1577)، حيث يَظهر قيس وهو يعيش بمنطقة جبلية ويرتدي ملابس بسيطة، بلحية كثة وشعر أشعث. ليس وحده هناك، بل إنه محاط بحيوانات: أسد برأس ممسوح جزئيًا، وأرانب عديدة، وزوج من الغزلان، وزوج من الوعل أو الماعز الجبلي، وذئب أو دب، بالإضافة إلى نمر.

يُرى قيس في إحدى الرسوم وهو يلتمس السلوى من هؤلاء الرفاق، إذ يفرك برفق أنفَ الوعل الأقرب إليه؛ فيما يبدو النمرُ مستعدًا للانقضاض من الأعلى، وينظر دب أو ذئب إلى الأعلى في حالة من الذعر. وتُعَبر أبيات شعرية في تلك الصفحة عن حالة قيس بعد أن هام على وجهه في البراري يُصاحب الحيوانات البرية. غالبًا ما تُصوَّر العلاقة بين الإنسان والحيوانات البرية في قصص كهذه على أنها

"النمر العربي كائن فخور.. وهو ليس انعزاليًّا، على خلاف الاعتقاد السائد".

-ماريان هارتمان، خبيرة السنوريات الكبرى

الصورة مقدّمة من الهيئة الملكية لمحافظة العلا (هارتمان والمبارك)

الصورة: James Tyrrell (النمر أعلاه)

كانت في زمن مضى أوثق بكثير من مثيلتها اليوم التي صار يغلب عليها الطابع العلمي.

إذ تقول "بيتا بورفاش"، مساعدة أمين "متحف الآغا خان": "في قصة مجنون ليلى بأحد المنظومات الخمس ضمن "خمسة نظامي" يروي الشاعر الفارسي "نظامي الكنجوي"، كيف أن حيوانات مثل الأسود والنمور والذئاب وغيرها كانت ترعى المجنون وتحميه ضد أي شخص يحاول الاقتراب منه وإيذاءه".

وتستطرد بورفاش قائلةً: "من المثير للاهتمام أن نفكر في الترابط بين البشر والحيوانات وكيف يمكن لكل منهما أن يؤدي دورًا في حماية الآخر". فاليوم عُكست الأدوار؛ إذ تحتاج الحيوانات التي كانت فيما مضى ذات قوة وبأس مثل النمور إلى الحماية من لدن مخلوق عادةً ما كانت تصوره القصص والقصائد على أنه "صديقها".

حماية النمر العربي وإنعاشه

تصف تلك الأبيات الشعرية سلوك التخفي الذي عادةً ما يعتمده النمر العربي، حيث ينعزل ليعيش بعيدًا عن الناس في الكهوف والمرتفعات، فلا يحظى برؤيته سوى قلة قليلة ومحظوظة من البشر. حينها يُراقبهم النمر بصمت من مسافة آمنة، قبل أن يختفي بسرعة في ثنايا الأساطير القصصية.

وربما كان النمر العربي ليختفي إلى غير رجعة في أساطير الأجداد لولا الهَبّة الحديثة المتمثلة في مراكز الاستيلاد والإكثار، وحملات التوعية، والبرامج البحثية في البلدان التي عُرفت تاريخيًا بوجود هذا الحيوان، مثل المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة.

فلقد صنّفت "القائمة الحمراء" لدى "الاتحاد الدولي لصون الطبيعة" النمرَ العربي على أنه مهدد بخطر انقراض أقصى في البرية منذ عام 1996؛ إذ يُقدَّر ما تبقى من هذا النوع في البرية بما بين 100 و120 نمرًا.

تقول "ماريان هارتمان"، الخبيرة بمجال السنوريات الكبرى واستيلاد القطط البرية: "النمر العربي كائن فخور.. وهو ليس انعزاليًا، على خلاف الاعتقاد السائد". تُلقّب هارتمان باسم "هامسة القطط" وقد أسهمت في التخطيط لإعادة القطط البرية بنجاح إلى بافاريا بألمانيا، كما تُدير مركزًا للأبحاث السلوكية بشأن القطط البرية الأوروبية في سويسرا. تستطرد واصفةً النمر العربي: "إنه خجول أيضًا، ويحب الابتعاد عن الناس"، وتلك سمة ربما تُسهم في وصفه بالحيوان الغامض بعيد المنال.

يستوطن النمر العربي في المرتفعات الجبلية والوديان العميقة حيث الفرائس كافية ومصادر المياه دائمة وملاذات الاختباء والتمويه متوافرة. وتشمل موائله التاريخية المناطق الجبلية بجميع أنحاء شبه الجزيرة العربية (وتحديدًا السعودية والإمارات وعمان واليمن) وسيناء وبلاد الشام؛ ولكن "الاتحاد الدولي لصون الطبيعة" يقول إن هذا النوع لا يوجد حاليًا إلا بمنطقة ظفار في عمان ومحافظتَي حجة والمهرة في اليمن. تقول هارتمان، التي تعمل أيضًا مع "المجموعة المتخصصة في السنوريات" لدى "الاتحاد الدولي لصون الطبيعة" وتُدير وُرش عمل للعاملين في استيلاد ورعاية النمر وغيره من السنوريات البرية الأخرى: "يشتهر النمر عمومًا بقدرته على التأقلم، ولكن النمر العربي يتعرض لتهديدات في سبل عيشه، لذا يحتاج إلى مساعدتنا لحمايته وإنعاشه.. وكذلك شأن جميع السنوريات بصرف النظر عن أحجامها. فهذه المخلوقات حساسة للتغيرات في بيئتها، مما يؤثر في سلوكها وتكاثرها ورفاهيتها بوجه عام".

كانت هارتمان، خلال مقابلتي معها، في مدينة الطائف بالسعودية، حيث يقع "مركز إكثار النمر العربي" والذي تشرف عليه الهيئة الملكية لمحافظة العلا. هناك، أشرفت هارتمان، التي تقدم أيضًا استشارات بشأن تصميم حظائر الهرّ البري والوشق والنمر والبَبر، على ورشة عمل لمصلحة مجموعة من المتخصصين الذين كانوا يشتغلون على هذه السنوريات الكبرى في السعودية وسلطنة عمان؛ إذ ركزت على سلوك النمر العربي ومستلزمات إنشاء حظائره، وما يتطلبه من أنواع غذاء وتجهيز للموائل، وكذا أفضل الممارسات الواجب اتباعها لاستيلاده وتربيته وتوفير سُبل الرفاهية له. كما شهدت الورشة عمليات تثبيت مشترك لبُنى الحظائر، حيث تعلم المشاركون كيفية تأثيث حظائر خاصة بأنواع نمور محدَّدة.

تقول هارتمان: "النمر العربي حيوان حاد الذكاء، وهو أمرٌ ينبغي أخذه في الاعتبار من لدن كلّ من يشرف على رعايته. فهو يَجهر بصوته للتعبير عن حاجاته، ويُحب الملاحظة والمراقبة، ويحب تقييم ما يحيط به، ويحب حِفظ خصوصيته. ويحتاج إلى الشعور بالأمان والحصول على مكان يؤويه ويحميه". تضحك هذه الخبيرة حين تسمع لقب "هامسة القطط"؛ إذ تقول "إنه لا يوجد همس فعلي عند التواصل مع سنّور. ينبغي للمرء ملاحظة وجهه ووضعية جسمه وعينيه، وعندها سيفهم غرض هذا الحيوان من التواصل؛ "فهو بارع في فهمك عندما تتحدث إليه بلغتك البشرية"، على حد تعبير هارتمان، التي كرست نفسها لرفاهية السنوريات البرية والدفاع عنها منذ أكثر من 30 عامًا.

كانت هارتمان شغوفة بالحيوانات حتى قبل أن تتخذ هذه المهنة؛ إذ كانت في طفولتها تفضل سماع قصص ما قبل النوم عن الحيوانات من الكتب الموسوعية العلمية السميكة بدلًا من القصص الخيالية. تقول: "كنت أحب الاستماع إلى قصص الحيوانات، وفي الفصول الدراسية، كنت أقدم عروضًا عن حيوانات عظيمة مثل أسود الكوجر (البوما) وفهود الشيتا.. ولقد أصبح شغفُ طفولتي مَهمةَ حياتي المتمثلة في فهم هذه الحيوانات المدهشة والمعقدة فهمًا أعمق".

وبصفتها شخصًا درَس عن السنوريات الصغرى والكبرى وبحث بشأنها، فإنها تأمل تبديد بعض سوء الفهم بشأن النمر العربي. تقول: "إنه يحب أسرته وأصدقاءه ويَحزن ويأسى على فراقهم، ويُربّي صغاره ويمنحهم الرعاية الأبوية". لذا يجب على المشرف على استيلاد هذه النمور وتربيتها أن يشملها بالرعاية التامة ويحاول فهمها والتواصل معها، وليس فقط إطعامها وتنظيف حظيرتها. فلا سبيل إلى معرفة

"أنا فخور جدًّا بالعمل في مجال النمور؛ إنه لشرف عظيم أن أسهم في عودتها القوية داخل بلدي السعودية"

–عبد العزيز العنزي، مدير الإكثار لدى مركز إكثار النمر العربي.

الخريطة: منظمة بانثيرا، المصدر: القائمة الحمراء للأنواع المهددة بالانقراض، الصادرة عن الاتحاد الدولي لصون الطبيعة في 2022.

مدى توترها أو مرضها أو حاجتها إلى المساعدة إلا من خلال التعرف إليها تمام المعرفة وفهمها تمامًا؛ "وكل ذلك يؤثر في استيلادها وإكثارها وإعادتها إلى البرية"، كما تقول هارتمان. "إنها، مثل جميع الكائنات، تحتاج إلى الشعور بالأمان والسعادة في موئلها لإقامة علاقات سليمة مع بني جنسها ومع محيطها".

من جملة التهديدات التي يتعرض لها النمر العربي، القنص الترفيهي، والاتجار غير المشروع بالحيوانات الأنيسة، وتدمير الموائل الرئيسة بفعل الزحف العمراني والتعدين، وفقدان الفرائس ومصادر الغذاء والمياه، فضلًا عن القتل غير القانوني ردًّا على افتراسه الماشية؛ وهو في ذلك مضطر بسبب تناقص أعداد فرائسه الطبيعية. وقد أدى ذلك كله إلى مأساة هذا المخلوق الجميل. ولكن، ثمة خطة لبناء مركز استيلاد متخصص جديد للنمر العربي قريبًا في محافظة العلا من قِبَل الهيئة، والتي تشرف على المركز الموجود في الطائف، ضمن خطة وطنية أشمل لحماية هذا السنور الكبير وإنعاشه وإعادة نشره في براري المملكة حيث لم يُرصَد وجوده منذ أكثر من عقد من الزمان.

يقول "عبد العزيز العنزي"، مدير الإكثار لدى "مركز إكثار النمر العربي": "النمر العربي من الرموز الوطنية المهمة لدينا. أنا فخور جدًا بالعمل في مجال النمور؛ إنه لشرف عظيم أن أُسهم في عودتها القوية داخل بلدي السعودية". ويشتغل هذا الخبير في هذا المجال منذ أكثر من 6 أعوام.

في صورة تعود إلى عام 2024، تُطل أنثى النمر العربي "همس" مع شبلها وهما في حالة من الترقب المشوب بالحذر، لدى "مركز إكثار النمر العربي" التابع لـ"الهيئة الملكية لمحافظة العلا".

الصورة: David Chancellor/ الهيئة الملكية لمحافظة العلا

شهد "مركز إكثار النمر العربي" ولادة سبعة نمور عربية في عام 2023 وخمسة في عام 2024، ليصل العدد الآن إلى 32 نمرًا؛ أي أكثر من ضعف العدد الأصلي الذي كان يبلغ 14 عندما تولت الهيئة الإشراف على المركز في عام 2020. وقد أُنشئ المركزُ في الأصل عام 1986 بوصفه جزءًا من "مركز الأمير سعود الفيصل لأبحاث الحياة الفطرية"، والذي لديه أيضًا برامج استيلاد وإكثار لحيوانات أخرى إلى جانب النمور، يشرف عليها "المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية".

ولقد تعهدت الهيئة بتخصيص 25 مليون دولار لإنعاش مجموعات النمور الأصلية في المملكة، وأنشأت "صندوق النمر العربي" لدعم برامج صون الحياة البرية في أنحاء المنطقة كافة. يقول العنزي: "تلتزم الهيئة بإعداد الجيل التالي من النمور المولودة ضمن المشروع لإطلاقها في البرية، لضمان الحد الأدنى من الاتصال البشري معها وتجهيزها تمامًا لإعادتها إلى البرية. وستؤدي هذه الجهود في نهاية المطاف إلى عودة النمور العربية إلى التجوال بحُرية في وديان محافظة العلا".

النمر العربي، حارس يضبط نُظم كوكبنا البيئية

إذا كان نمر الثلوج سفيرًا لدى جبال آسيا الشاهقة، فإن النمر العربي هو أيضًا سيد الجبال العربية الوعرة. لكن وعلى كل ما تتمتع به السنوريات الكبرى -كالنمر الذي يُعد "حارسًا" للمنظومة البيئية للأرض ويؤدي دورًا دقيقًا في تحقيق التوازن- من قوة ورشاقة وقدرة على التأقلم، فإنها تحتاج إلى حراس لحمايتها ضد أحد أكبر التهديدات: بني البشر.

وتُعد النمور من المفترسات الرئيسة في بيئتها، وهي نوع "مِظَلي"؛ بمعنى أنها -كمثل غيرها من لواحم قمة الهرم الغذائي- تؤدي دورًا مهمًا في ضبط أعداد العواشب كالغزلان والظباء وغيرها من الحيوانات الأصغر التي تشكل فرائس لها. فمن دون مفترسات للعواشب، يمكن أن تزيد أعدادها بمستويات غير مستدامة، مما يؤثر سلبًا في وفرة الغطاء النباتي وتنوعه.

وتعليقًا على ذلك، يقول "فريدريك لوناي"، الرئيس التنفيذي لدى "بانثيرا"، وهي منظمة دولية مكرَّسة للحفاظ على السنوريات البرية: "نهتم بالسنوريات، بصفتها الحارسة الحاسمة لنُظم كوكبنا البيئية، لأن ذلك نهج واضح ورابح في صون أكبر المناظر الطبيعية وأغزر عدد من الأنواع، ومن ضمنها نوعنا البشري".

يمتد نطاق وجود النمر من جنوب إفريقيا إلى الشرق الأقصى؛ لذلك، يقول لوناي، فإن الحفاظ عليه هو استراتيجية مزدوجة للحفاظ على آلاف الأنواع وكذا مساحات هائلة من المشهد الطبيعي حيث يعيش النمر.

ولعل المبادرات الحديثة التي تركز على النمر العربي قد أنقذته من الانقراض التام، مثل الانقراض الأخير للغزال السعودي الذي أعلنه "المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية" في البلد عام 2022. وجاء ذلك الانقراض بعد انقراض فهد الشيتا الآسيوي منذ نحو 50 عامًا، والنعامة العربية قبل 60 عامًا تقريبًا، والأسد الآسيوي الذي انقرض في المملكة منذ أكثر من 175 عامًا.

يقول لوناي: "بعد أن أدركت الهيئة أهمية تلك الحقائق، عزمت على تحويل مستقبل النمر العربي وموائله. ومن جملة النجاحات المُحرزَة، بدعم من منظمة بانثيرا: توسيع نطاق برنامج لاستيلاد النمر العربي وإكثاره؛ والعمل على تحويل 50 بالمئة من أراضي محافظة العلا إلى محميات طبيعية؛ وإعادة إدخال أنواع من الفرائس مثل الوعل النوبي وغزال الإدمي؛ وتدريب المواطنين السعوديين على حراسة المتنزهات لحماية محميات العلا؛ وعقد شراكة مع المجتمعات المحلية للتخفيف من حدة الصراع ضد الحيوانات المفترسة". وقد وقّعت الهيئة اتفاقية مدتها 10 أعوام بقيمة 20 مليون دولار مع منظمة بانثيرا الداعمة لجهودها.

في 12 يونيو 2023، وسعيًا من "الجمعية العامة للأمم المتحدة" للتوعية بهذا الرمز الوطني، أعلنت يوم 10 فبراير، "اليوم العالمي للنمر العربي". وتهدف "الأمم المتحدة" من خلال الاحتفال بهذا اليوم إلى "استعادة النمر العربي بوصفه نوعًا محوريًا وحاسمًا في عمليات الحفظ والاستدامة بمنطقة وجوده الأصلية، مع التأكيد على الدور الحاسم للتنوع البيولوجي في الحفاظ على صحة النظم البيئية لكوكبنا ومرونتها"، كما ذُكر في موقع هذه المنظمة الدولية.

"إننا نلقي الضوء على حيوان لا يعـرف معظم العالم حتي بوجوده.."

–فريدريك لوناي، الرئيس التنفيذي لدى "بانثيرا"، المنظمة الدولية المعنية بالحفاظ على السنوريات البرية.

Frederic Uhel، منظمة بانثيرا، الهيئة الملكية لمحافظة العلا، (النمر)

وبالنسبة إلى من عملوا في مجال صون الطبيعة مدة ثلاثة عقود، مثل "أحمد البوق"، المدير العام لإدارة المحافظة على البيئة البرية في "المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية" في السعودية، فإن الفرحة تكون عارمة كلما سُمع خبر سار عن رمز طبيعي وطني مثل النمر. وقد عمل البوق بمجال النمور العربية في الماضي ويستمر في العمل على صون الأنواع ودراسة التنوع الأحيائي في بلده السعودية. يقول: "أحب التنوع الأحيائي الزاخر في بلادنا، وأنا سعيد لأن النمر العربي الجميل والقوي يحظى بالاهتمام لأنه يشبه المايسترو في فرقة موسيقية بيئية".

وتحظى النمور لدى السعوديين بأهمية كبيرة إلى درجة أنهم يطلقون عليها أسماء مَلكية؛ إذ يقول البوق، وهو يتذكر نمرًا ذكرًا يُدعى سعود وأنثى تُدعى همس: "النمر العربي ذو قوة ومهابة، لذلك نحب تكريمه بمنحه أسماء ذات سلطان وهيبة". وقد نشأ ابن المدينة المنورة وترعرع في منطقة محمية ألهمته وغرست فيه شعورًا كبيرًا بصون الطبيعة. يقول: "تعاليم ديننا الإسلامي تنهانا عن الإضرار بالطبيعة".

وفي وجود محيط يشجع ثقافيًا ودينيًا على رعاية الطبيعة، لا يتوانى البوق في إرشاد كثير من الأجيال الشابة وقيادتهم، في مكتبه وخارجه، إلى تغيير نظرتهم إلى الطبيعة. "أصبح شعبنا أكثر وعيًا الآن، ويبذل قصارى جهده لحماية الموائل الطبيعية الشاسعة في بلدنا"، يقول البوق.

تتسع آفاق الحديث إلى المدير العام لتشمل "مركز الأمير سعود الفيصل لأبحاث الحياة الفطرية"، الذي يقع على مساحة تغطي 27 كيلومترًا مربعًا على بعد 30 كيلومترًا جنوب مدينة الطائف. وهو مسيَّج ضمن منطقة محمية شبه

أقصى اليمين: وُلد شبل النمر العربي هذا في عام 2024 لدى "مركز إكثار النمر العربي". وتحتاج صغار هذه النمور الجميلة إلى رعاية خاصة، من الأم ومن فريق الرعاية البشري، قبل أن يشتد عودها وتنطلق في رحاب المركز لاكتشاف العالم من حولها.

يمين: قام موظفو "بانثيرا"، بالتعاون مع الهيئة الملكية لمحافظة العلا، بنصب كاميرات آلية للمساعدة في إجراء دراسات مسحية بجميع المحميات الطبيعية لمحافظة العلا، ما بين عامَي 2020 و2024؛ أما الهدف من ذلك فهو توسيع الإلمام بنوع الحيوانات والتنوع البيولوجي الموجود بالمنطقة.

صحراوية تهيمن عليها أشجار الأكاسيا والأعشاب البرية، ويؤوي منشأة بحثية مكرَّسة لاستيلاد وإكثار الأنواع المهددة بالانقراض لإعادة توطينها في نطاقها الطبيعي التاريخي بجميع أنحاء المملكة. والأنواع التي يركز عليها هي طائر الحبارى الآسيوي والمها العربي والنعام أحمر الرقبة والوعل الجبلي وظبي الإدمي والأرنب البري، فضلًا عن النمر العربي (ولكن إلى حدود عام 2019، حين تم نقل برنامج إكثار النمر العربي إلى الهيئة الملكية لمحافظة العلا).

أعاد المركز حتى اليوم أكثر من 7000 حيوان بري مهدد بالانقراض إلى الموائل المناسبة عبر أنحاء المملكة وخارجها. ويقول البوق، تعليقًا على هذا الجهد: "إنه عمل تعاوني مع شركاء آخرين في السعودية، على المستوى الإقليمي والدولي. لدينا أيضًا برنامج تَعقّب ومراقبة، إذ نتتبع الحيوانات التي أُطلقت في البرية من خلال أطواقها المتصلة بالأقمار الصناعية ونقوم بدراستها لتوسيع معرفتنا بأساليب صون الحياة البرية وإعادة توطين الحيوانات".

كما ساعد جهدٌ أشمل وأوسع من قِبَل الدولة في بلورة نظرة أكثر رفقًا إلى العالم الطبيعي. يقول البوق: "ما الاستيلاد والإكثار سوى مكوّن واحد من فخرنا الوطني ودافعنا لحماية الطبيعة وحيواناتها ونباتاتها. فنحن فضلًا عن ذلك ننشر الوعي البيئي وثقافة صون الطبيعة، وننظّم حملات وطنية، ونُجري أبحاثًا، وندرب جيل المستقبل من الفرق الميدانية وحراس المحميات الذين يضطلعون بمهام الحماية والمراقبة الفعلية، وننجز كثيرًا من المهام المختلفة لاستدامة طبيعتنا".

وكان البوق يتواصل بانتظام مع مربّي الماشية ويشرح لهم أهمية عدم إيذاء المفترسات أو الفرائس، وهو يؤكد على أنه لا يمكن تحقيق النجاح في مجال صون الحياة البرية من دون إشراك المجتمعات المحلية. يقول: "نجلس مع أهالي المنطقة ونشرح لهم أنه لا يجب تسميم أو صيد المفترسات وفرائسها الطبيعية، مثل الظباء، وأنه لا يمكن لمفترس مثل النمر العربي أن يحصل على طعامه إنْ تم استنفاد فرائسه الطبيعية بالصيد المفرط". كما يُنصَحون بوضع ماشيتهم ليلًا في مسيّجات متنقلة لأن كثيرًا من المفترسات ليلي النشاط. "هذه الخطوات الصغيرة تُحدث تغييرات صغيرة من شأنها أن تُحدث فَرقًا كبيرًا في طبيعة هشة حساسة تحتاج إلى مساعدة"، كما يقول البوق.

ويَسُوق المدير العام مثالًا لقرَدة "الهامدرياس" والتي تضخمت أعدادها لدى جوانب الطرق في مناطق مثل الطائف والأجزاء الجنوبية من المملكة، بانتظار طعام يجود به عليها المارّة، بل إنها أحيانًا تطرق نوافذ السيارات المتوقفة لعلها تحصل على طعام من رُكّابها.

موظفان يقومان بإطلاق المها العربي في "محمية شرعان الطبيعية" في نوفمبر 2024، وذلك لإكثار هذا النوع من الحيوان في البرية.

الصورة: Jose Ferreira، الهيئة الملكية لمحافظة العلا.

وُلدت هذه التوائم الثلاثية النادرة من النمر العربي المهدد بالانقراض (ذكران وأنثى)
في يونيو 2024 لدى "مركز إكثار النمر العربي" التابع لـ"الهيئة الملكية لمحافظة العلا".
وتندرج عمليات الإكثار هذه ضمن مهمة وطنية سعودية تهدف إلى الحفاظ
على النمر العربي وإعادة إطلاقه في البرية.

فبسبب الصيد في الماضي وعدم إدراك أهمية المفترسات واضمحلال الموائل، لم يعد هناك مفترس طبيعي لضبط أعداد هذا النوع من القردة؛ "فأصبح مصدرَ إزعاج للجميع وخطرًا على الصحة، وصار يعتمد اعتمادًا كبيرًا على البشر حتى أصبحا في بعض الأحيان يَدخلان في صراعات لا داعي لها"، كما يقول البوق، مضيفًا أن "هذه المشكلة تفاقمت لأن عوامل التوازن الطبيعي -كالنمور العربية- تعرضت للانحسار في عددها أو للإبادة". ويتوقف البوق مستذكرًا بعض الحوادث المأساوية فيقول: "من المؤسف أن إحدى الطرق التي نكتشف بها أن نمرًا عربيًا عاش في منطقة ما، هي أنه قُتل ورأينا جثته. وإنه لَأمر محزن أن نكتشف مثل هذه الحيوانات المدهشة بعد أن يكون الأوان قد فات".

وذكَر أنه عُثر في عام 2007 في عسير بجنوب السعودية على جثتين لنمرين صغيرين مسمومين، وبعد عمليات بحث مكثفة، لم يُعثر على أي علامة تدل على وجود والديهما. وفي عام 2014، وُجد أحدُ آخرِ النمور التي شوهدت في البرية بالمملكة، نافقًا بعد تسميمه من قِبَل راعي إبل محلي في وادي نعمان بمكة. وبدا أن ذلك النمر قد أكل جثة حيوان تم حقنه بالسم؛ وهو أسلوب يلجأ إليه بعض هؤلاء الرعاة لحماية أغنامهم وإبلهم من الكلاب البرية ومفترسات أخرى غيرها.

ويؤكد البوق أنه شهد مقتل ما لا يقل عن خمسة نمور برية بتلك الطريقة نفسها في المدينة المنورة والطائف والمحافظات الجنوبية. ويُعرف هذا الأسلوب من التسميم عالميًا باسم "القاتل الأعمى" لأنه لا يُفرق بين كلب سائب وحيوان نادر. ولحُسن الحظ وبفضل الجهود الوطنية، يضيف البوق، "هناك تغيير في الموقف والفهم، ولكن لا يزال عَملنا مستمرًا لحماية طبيعتنا الرائعة وجميع مخلوقاتها، صغيرة كانت أم كبيرة".

ثُلاثيُ الأمل.. العربي

في صيف عام 2024، شهد "مركز إكثار النمر العربي" ولادةً نادرة لتوائم ثلاثية من النمر العربي، في أول حالة موثّقة من نوعها في الأسْر بالسعودية، والثالثة على مرّ العقود الثلاثة الماضية، حسب التقديرات. وظلت تلك التوائم الثلاثة -ذكران وأنثى واحدة- تزدهر وتترعرع منذ ولادتها لدى المركز، حيث ترتع وتمرح بشغب تحت أنظار والديها "ورد" المولودة في المركز وعُمرها 7 أعوام، و"باهر"، المُستعار من الديوان الملكي في عُمان، وعمره 14 عامًا تقريبًا. ويُعد هذا الأب أحدَ نمرين اثنين يُعرفان بأنهما الأبوان المؤسسان لدى هذا المركز الذي جُلبا إليه ضمن برنامج تبادل إقليمي يهدف إلى تعزيز التنوع الوراثي لسلالة النمر العربي؛ وفي المحصلة الإسهام في استدامة برنامج التكاثر.

وقد وُلدت التوائم الثلاثية بعد أقل من شهر على ولادة توأم آخر بالمركز نفسه في مدينة الطائف. وقد أنجب التوأمَ (وهما ذكر وأنثى) أبٌ يبلغ من العمر 14 عامًا ويُدعى "علي" وأنثى عمرها 6 أعوام وتُدعى "فجر"، وكانت الولادة الثانية لهذا الزوج. ويُعد هذا الارتفاع في ولادات النمور إشارةً إلى التقدم المستمر في العمل الحيوي للهيئة الملكية لمحافظة العلا نحو استعادة أعداد النمور العربية.

"إنه لشرف كبير أن نرى هذه الأشبال الجميلة والمفعمة بالصحة في حالة نشاط"، تقول "زينب المبارك"، الخبيرة في سلوك النمر العربي والتي تشرف مع فريقها على رعاية التوائم الثلاثة بالمركز. وتستطرد المبارك قائلةً عن التوائم: "إنها أمل المستقبل لنمر العرب المهيب".

وقد أضفى وجود هذه الأشبال، بنشاطها وتفاعلاتها وشخصياتها المميزة، عنصرَ فرح وبهجة على فريق الرعاية، الذي يراقبها من بعيد عبر لقطات كاميرات المراقبة حتى لا يتسبب بإزعاجها. وحصلت الأشبال على أولى التطعيمات والفحوصات الصحية في سن الثلاثة أشهر، وهي اليوم في حالة جيدة. وقريبًا ستنشأ لدى الأشبالِ الثلاثة "هرمية اجتماعية" من شأنها أن ترسم حدود كلٍّ منها من حيث التعامل والتعايش؛ على أنها ستبقى تحت إشراف الأم مدة تصل إلى 18 شهرًا. تقول المبارك: "إننا في الوقت الحالي نواظب على رصد سلوك هذه الأشبال؛ ونحن مندهشون من مدى الصبر اللامحدود التي تُبديه ورد إزاء صغارها".

ليس من الصعب أن نفهم دافع وشغف الأفراد والمؤسسات المختلفة بالتوثيق للنمر العربي ودراسته وحمايته. فأي شخص يرى جمال هذا المخلوق وقدرته على الصمود وقوته سوف يُغمَر بشعور جارف بالرهبة والتواضع. ففي جميع أنحاء العالم، وبصرف النظر عن كبر حجم السنوريات الأخرى، فإن لهذا النمر سحرًا أسطوريًا وشخصية جذابة قلّما نُقدّرها حق قدرها.

كتب "ويليام شكسبير" ذات زمن: "النمر لا يغير رُقَطه". وهذا أمر يسعدنا؛ فقد تكون السمات اللصيقة بالنمر العربي، وهي العزلة والحذر والميل إلى تفادي البشر، هي التي ساعدته على البقاء حتى هذه اللحظة، وإنْ بأعداد قليلة.. حتى الآن. □

لقـــاء بيـــن مصـــور ونمـــر عربـــي.. فـــي الأَســـر

صادفت النمر العربي وجهًا لوجه أول مرة، لدى مركز استيلاد وإكثار، فسرعان ما لاحظت الاختلافات الواضحة بينه وبين النمر الإفريقي الذي كنت قد رأيتُ المئات منه خلال فترة عملي مرشدًا لرحلات الأسفار. لاحظت للتو أن لونه يميل أكثر إلى لون الرمال وجسمه أنحف؛ مما يوحي أنه كان أكثر تأقلمًا مع الحياة في الجبال القاحلة حيث كانت فرائسه أصغر حجمًا ولم يكن مضطرًا للتنافس على الغذاء مع الأسود وما شابهها. لم يكن بحاجة إلى حمل جثث فرائسه للحفاظ على سلامتها، إذ كان يفترس في المقام الأول طرائد أصغر حجمًا منه بكثير؛ وكان بدوره أصغر حجمًا من نظيره الإفريقي. للأسف لم تُتَح لي الفرصة حتى اليوم للقاء نمر عربي في البرية؛ ولكن أنماط تنقل هذا السنور الكبير تجعلك تُدرك أنه حيوان متخَفٍّ بطبيعته. فإن لم يرغب بأن يُرى، فلن يسمح بغير ذلك.

إن أفضل المشروعات ومؤسسات صون الحياة البرية التي تعاملت معها، تولي أهمية كبرى لإشراك أهالي المجتمعات المحلية في شؤون صون الطبيعة، والتي تستفيد على نحو فعّال من حماية الحياة البرية، وبالنتيجة ينخرط أفرادها بنشاط في الحرص على رفاهيتها. إن ترك الحيوانات البرية حرةً طليقة تَجول حيثما رغبت وفي الوقت نفسه تخفيف حدة الصراع المحتمل بينها وبين البشر (على سبيل المثال، الفيَلة التي تغزو المحاصيل، والأسود التي تقتل الماشية)، هو جوهر مستقبل الحياة البرية في إفريقيا. ولكن واقع الحال يقول إن لكل بلد ومنطقة وحتى قرية مشاكلها الفريدة التي ينبغي تدبيرها على النحو الذي يناسب واقعها. إذ لا يوجد حل واحد يناسب الجميع، للأسف. وكلما أدركنا ذلك في وقت أبكر، نتمكن من إحراز تقدم أسرع.

-جيمس تيريل، مصور ومرشد رحلات سفاري

هل عاد النمر العربي إلى الإمارات؟

"لقد رأيت نمرًا عربيًا.."

تلك رسالة من بين رسائل عديدة مشابهة وصلت إلى حسابات وسائل التواصل الاجتماعي لدى "خليفة المزروعي"، مصور إماراتي متخصص في الحياة البرية ومعروف باستكشافاته ورحلاته عبر الصحاري والجبال بحثًا عن أنواع للاكتشاف والتوثيق.

وقد استبدّ به الذهول في ديسمبر 2023، عندما تواصلَت معه مجموعة من مربّي الماشية من قرية "حبس" في إمارة رأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة -والتي تفصلها سلسلة جبال عن سلطنة عمان المجاورة لها- بشأن ماعزهم وأغنامهم التي تختفي ليلًا من عزباتهم. يقول المزروعي: "فقدَ أحدُهم أكثر من اثنتي عشرة عنزة في غضون أيام قليلة. وقد طلبوا إليَ مساعدتهم في حل لغز اختفاء ماشيتهم".

هنالك ذاعت إشاعة أن الجاني نمرٌ عربي. فجمع المزروعي فريقًا من المتنزهين الجوّالة وساروا معًا أكثر من ست ساعات يذرعون أجزاء من جبال "الحجر" القريبة من القرية. خيّموا هناك مدة أسبوع، ووجدوا بالفعل ما يشبه "بصمة مخلب كبيرة".

ويحكي المزروعي أنهم نصبوا كاميرات آلية مخبّأة حوالي الجبل، وبخاصة لدى مصادر المياه، واستخدموا نظارات الرؤية الليلية، وأطلقوا صيحات تجتذب السنوريات الكبرى، وبحثوا عن أدلة مثل الروث، بل حتى تتبعوا ماعزًا سائبًا لعله يثير هذا الحيوان المفترس أو ذاك. فوجدوا جثث بعض ذلك الماعز مسروقة، وبعضها التُهم بالكامل ولم يتبق منه سوى العظام.

من بين الموائل التاريخية للنمر العربي، مسندم، وهي شبه جزيرة جبلية عمانية مجاورة لرأس الخيمة وتمتد إلى "مضيق هرمز"، وتفصلها دولة الإمارات عن بقية البلد. ومن المعروف أن هذا النمر خجول للغاية وقادر على التجول في مساحة يزيد نطاقها على 150 كيلومترًا مربعًا؛ ولذا فإن حالات مشاهدته نادرة. يقول المزروعي: "لا تزال المنطقة معزولة تمامًا، ولا يوجد بها كثير من الناس، وبعض أجزاء الجبال لا يستطيع أحد الوصول إليها؛ لذا فمن المحتمل أن النمر العربي موجود في مكان ما مختبئًا هناك".

ولربما تأثرت تنقلات النمر العربي بسبب أشغال طريق جديدة يجري إنجازها في عمان، بين دبا البيعة وخصب. إذْ

نمر عربي يعيش لدى "مركز حماية وإكثار الحيوانات العربية البرية المهددة بالانقراض" (BCEAW) في الشارقة بالإمارات العربية المتحدة. تأسس هذا المركز في عام 1995 ويؤوي 64 نمرًا، وهو أكبر عدد من النمور المولودة في الأسر، حسب التقديرات

الصورة مقدّمة من مركز حماية وإكثار الحيوانات العربية البرية المهددة بالانقراض.

يُحتمَل أن التفجيرات لإنشاء الأبنية اللازمة للطريق دفعت النمور العربية إلى الانتقال إلى أماكن أقرب إلى الإمارات، في الجنوب، وإلى منطقة حبس، "حيث يمكنها الاختباء والتمتع بالأمان والحصول على الطعام"، على حد قول المزروعي.

يعيش جل النمور العربية حاليًا في محافظة ظفار بعُمان، على مقربة من اليمن، والتي يُعتقَد أنها موطن لنحو 50 نمرًا بالغًا تعيش في سلاسل جبال "محمية جبل سمحان الطبيعية" وكذلك في جبل "القرة" وجبل "القمر". ويُعد هذا النوع منقرضًا من الناحية الوظيفية في دولة الإمارات، حيث شُوهد آخر مرة على نحو موثوق في مطلع تسعينيات القرن الماضي. تقول "جين بود"، رئيسة "الخدمات البيطرية والسنوريات" لدى "هيئة البيئة والمحميات الطبيعية بالشارقة": "يعتقد الخبراء أن أعداد النمر العربي قد تضاءلت إلى مستويات غير مستدامة قبل اختفائه. لم تكن تضاريس دولة الإمارات وموائلها لتدعم قَط عددًا كبيرًا من هذا السنور الكبير، وتشير التقديرات إلى أنه لا يمكن أن يكون قد وُجد أكثر من 10 إلى 20 نمرًا في الإمارات الشمالية وشبه جزيرة مسندم".

الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. ويعمل المركز تحت مظلة "هيئة البيئة والمحميات الطبيعية بالشارقة"، ويُقال إنه يضم أكبر عدد من النمور المولودة في الأسر، بعدد يصل إلى 64 نمرًا.

وهدفت تلك المبادرة إلى حماية هذا النوع والمساعدة في تأمين أعداد احتياطية منه لإعادة إطلاقها في البرية مستقبلًا. ومع مرور الوقت، تقول بود، توسع البرنامج ليشمل نطاقات جغرافية أخرى للنمر العربي، فانفتح على مؤسسات في دول مثل عُمان واليمن والسعودية والبحرين، حيث يمتد التعاون الإقليمي إلى ما هو أبعد من الاستيلاد والإكثار ليشمل التدريب، وتبادل المعارف، ووُرش العمل والمؤتمرات.

وفي عام 1999، تم إضفاء الطابع الرسمي على البرنامج، ليصبح محطة مهمة في مسار الجهود المبذولة للحفاظ على النمر العربي. وفي ذلك العام نفسه، نشر "مركز حماية وإكثار الحيوانات العربية البرية المهددة بالانقراض" أول سِجِلّ أنساب إقليمي لهذا النوع من السنوريات. استُخدم هذا السجل أداةً لإدارة المادة الوراثية (الجينية) الخاصة بمجموعات النمر الأسيرة، وضمان التنوع الوراثي وتجنب التزاوج الداخلي، وهما أمران مهمان جدا لصحة أي نوع في الأسر على المدى الطويل. في عام 2009، حظي ذلك السجل الإقليمي بترقية ليصبح سجل أنساب دوليًا.

تقول بود: "لقد يسّرَت تلك الترقية تحسين التنسيق الإقليمي وتوفير إطار أشمل لتدبير مجموعات النمر الأسيرة عبر بلدان ومؤسسات متعددة".

وفي الآونة الأخيرة، تمت التوصية بتضمين برنامج استيلاد النمر العربي وإكثاره في "البرنامج الأوروبي للأنواع المهددة بالانقراض"؛ مما يمثل خطوة مهمة نحو دمج النمر العربي في جهود الحِفظ الإقليمية الموحَّدة والأوسع نطاقًا.

يحافظ المزروعي على تفاؤله على الرغم من الاستنتاجات القائلة بأن النمر العربي مصنف رسميًا أنه منقرض في الإمارات. يقول: "لقد رأينا شيئًا بعيدًا، مختبئًا بين الصخور الكبيرة؛ لكنه كان نائيًا جدًا، ويُحتمَل أنه كان أي شيء آخر؛ لذلك لا أستطيع أن أقول إننا رأينا النمر العربي بالفعل".

ولكن، يقول المزروعي، استنادًا إلى ما ذكره أفراد كثيرون من تلك القرية، وجلهم كبار السن، وإلى القصة التاريخية للنمر، "أعتقد أن النمر العربي ربما انقرض في الإمارات؛ ولكن بفضل جبالنا المتصلة، فلربما لا يزال هناك، مختبئًا متواريًا عن الأنظار.. ليمنحنا الفرصة لاستعادة هذا الحيوان الأيقوني". □

وتستطرد الخبيرة ذاتها قائلةً إن من المرجح أن دولة الإمارات ظلت تاريخيًا تشكل ممرًّا للنمور المتنقلة بين شبه جزيرة مسندم وجبال الحجر في عمان. ومع ذلك، فقد انقرض النمر العربي في جبال الحجر منذ عام 1976 على أقل تقدير، مما أدى إلى عزل أي مجموعات متبقية منه في الإمارات. تقول بود: "لم تزدهر مجموعات النمر العربي في دولة الإمارات على الإطلاق، بفعل تشظي موئله الطبيعي والضغوط الناجمة عن الصيد، وتناقص الموائل والمنافسة على الفرائس".

وقد دفع هذا التراجع الكبير لأعداد النمر العربي في البرية إلى إنشاء برنامج إقليمي للاستيلاد والإكثار والحفاظ على الأنواع في عام 1995، لدى "مركز حماية وإكثار الحيوانات العربية البرية المهددة بالانقراض" في الشارقة بدولة الإمارات، بناءً على توجيه صاحب السمو حاكم الشارقة

الصورتان مقدمتان من: مركز حماية وإكثار الحيوانات العربية البرية المهددة بالانقراض.

أعلى: نمر عربي صغير ولد في "مركز حماية وإكثار الحيوانات العربية البرية المهددة بالانقراض" بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، والذي تم تأسيسه عام 1995. من المقرر أن يؤوي المركز أكبر عدد من النمور المولودة في الأسر، والتي يصل عددها إلى 64.

يسار: نمر عربي يحظى بالعلاج في "مركز حماية وإكثار الحيوانات العربية البرية المهددة بالانقراض".